شعرية العنوان في ديوان"كتاب الأحوال" لعبد الحميد شكيل

أ. عبد الخالق بوراس ، جامعة تبسة

الملخص بالعربية:

إن النص الأدبي يحمل في طياته مجموعة من الرموز ضمن بنائه في كلمات أو جمل و ما هو إلا مرآة عاكسة لفترة معينة يتناولها الكتاب بشيء من التعقيد و الإيماءات التي تستوجب الوقوف عندها لأنها تساهم في تحليل إحساسه و تحريك وجدانه. و بما أن أساس النص الأدبي هو العنوان فكان من الضروري أن نبحث في شعرية العنوان عند : عبد الحميد شكيل. لآن العناوين لها مهمة رمزية بنظام علاماتي يحيلنا إلى مجموعة من الإحالات . فهو المدخل الطبيعي الأول لقراءة أي عمل أدبي. مجموعة الأعمال لشكيل عناوينها تحمل الكثير من الرموز و الدلالات : " العنونة جزء لا يتجزأ من إستراتيجية الكتابة لدى الناص لاصطياد القارئ و إشراكه في لعبة القراءة و كذلك بعد من أبعاد إستراتيجية القراءة لدى المتلقي محاولة فهم النص و تفسيره و تأويله."

Résumé:

Le texte littéraire comporte un ensemble de symboles dans sa construction par des mots ou des phrases, et ce n'est seulement qu'un miroir réfléchissant pendant une certaine période de temps couverte par l'auteur avec quelque complexité et des gestes qui nécessitent alors qu'elles contribuent à l'analyse du sens et la conscience et comme la base d'un texte littéraire est le titre, il est nécessaire d'examiner sa poésie dans l'oeuvre de Abdel Hamid Shakil car il aborde un système et un accent symbolique important qui nous amène à une série d'affectations. c'est d'abord une approche de lire toute œuvre littéraire. Les titres des ouvrages portent beaucoup de symboles de statut et de la sémantique "étiquette fait partie intégrante de la stratégie d'écriture pour accrocher le lecteur et l'impliquer dans le jeu de la lecture, ainsi c'est la dimension de la stratégie de destinataire en essayant de comprendre le texte de lecture et de l'interpréter

يعد العنوان مفتاح أي عمل أدبي سواء كان نثرا أم شعرا لذا نحاول في هذه الدراسة فك طلاسم العنوان في ديوان "كتاب الأحوال" للشاعر الجزائري عبد الحميد شكيل، ولذلك نبدأ بعنوان الديوان.

1- العنوان "كتاب الأحوال":

اختار الشاعر لديوانه في "كتاب الأحوال"[1]، ذلك أن الكاتب أثر باق يمكن تصفحه وقراءة محتوياته من وجود أول إلى وجود ثان، الوجود الأول مرهون بكائن إنساني يمارس عملية التلفظ، والثاني بوجود مادي في متناول اليد.

إنّ ما ميز الثقافة العربية هو طابعها الشفوي، " لقد حكمت الشفهية الثقافية العربية في جانب كبير منها، ولعل مرد ذلك أن البنية الذهنية العربية المعتمدة في كثير من أجناسها على الإبداعية الشفهية كالرسالة والخطبة والشعر[2]، وكل ذلك تحول إلى التدوين بتغير العصور وتداخل الثقافات فارتقت الكتابة وتنوعت الخطوط وعلت منزلة الكتاب.

في الكتاب تتبدى المقابلة المباشرة بين ما هو شفوي وما هو مكتوب، حيث يتم الانتقال من الشفوية الكتابية إلى التدوين، ويتحول المدون من جديد إلى الشفوية بفعل القراءة، وهكذا يظهر الصراع وتبادل المواقع بين الشفوية والكتابية، وصراع الكلمة وانتقالها ما بين الموت والحياة، وكم من الكلمات ضاعت وأصبحت طي النسيان لأنها لم تظهر بتدوين وكتابة، وكم من الكلمات الخاملة في مضان الكتب كتبت لها الحياة وبعثت من جديد، فالتجديد ليس نزوة طارئة تعرض لقطاع واحد من قطاعاتالفكر، إنماهو تيار شامل يستغرق وجوه المعرفة بدرجة تقلّ أو تكثر، نتيجة تغيير يحدث في المجتمع[3].

عندما نودع الكلمات كتابا فإننا نلفها براء السواد لتدخل في نوم شتوي أشبه ما يكون بالموتة الأولى؛ التي تتطلب نشرا آخر، فالسواد الذي تتسربل به الكلمات هو بمثابة شرنقة تنموا داخلها الكلمة لتولد وتحيى من جديد و تطير فراشة بين مثيلاتها في الوجود.

في تحول الكتابة صراع بين الوجود والعدم، بين الشفوية والكتابة، بين القراءة وإعادة القراءة، وبذلك فالكاتب من المعاني التي يحملها معنى التدوين والإثبات والرصد والتسجيل، والكاتب معرض للقراءة وفضح المستور، كما جاء في القرآن الكريم (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) [سورة الإسراء الآية -14-]، تلك بعض الظلال التي تحملها كلمة كتاب والتي تتأرجح بين الثبات بحكم التدوين والتغيير وبحكم القراءة والتأويل، وقدجاءت المعرفة بالإضافة، وكلمة الأحوال المعرفة بالألف واللام مضاف إليه، وفي التعريف تحديد و تعيين، فهذا الكتاب معروف الهوية، يعرف بأحوال محددة.

وبالنظر إلى كلمة الأحوال نجدها تشترك مع كلمة الكتاب في معنيي الثبات والتغير في الآن نفسه، ذلك أن الكتاب تعانق معانيه الوجود الإنساني،فهو الذي دوّن وأرّخ، من خلاله يمكن استعراض الذات الإنسانية وهي تتفاعل وعناصر الوجود، أما الأحوال فهي هيئات راسخة في النفس وتظهر في صورة معينة لحظة معايشة الإنسان لحالة بعينها ، وتلك الحالة سرعان ما تتغير وتتحول لتصبح النفس على حالة جديدة، وقد جاءت كلمة الأحوال بصيغة الجمع بخلاف لفظة الكاتب التي جاءت بصيغة المفرد لتدل على تعدد أحوال النفس و يدل مفرد الكتاب على استمرارية تلك الأحوال وعدم تخصيصها،"يكون الانصراف عن خطاب المفرد إلى خطاب الجمع لعدم التخصيص، أي الشمول والاستغراق"[4].

إنّ العنوان الذي اختاره الشاعر لديوانه "كتاب الأحوال" تجعلنا نتساءل عن طبيعة الأحوال التي يريد الكشف عنها أو تثبيتها حتى لا تهرب أو تتلاشى في متاهات الزمن ،وهل هي أحوال الشاعر وتقلبات نفسه، أم أحوال أمته التي تعيش فيها ويريد تسجيل أحداثها وما يستجد فيها من تحولات؟ أم هي تحولات المعرفة وآفاق اللغة وعالم القصيدة؟ ذلك ما لا يسمح العنوان بإضافته مما يولد إغواء لدى المتلقي وبعبارة سهلة وبسيطة ينم عن قصيده في وضع هذا العنوان التي تضافرت مكوناته اللفظية على إعطاء صبغة دلالية.

2- **النصوص الموازية:**

- **عبارة "نصوص إبداعية":**

اختار الشاعر لديوانه توضيحا آخر على مستوى الغلاف وهو عبارة "نصوص إبداعية"، وفي ذلك تعلق بالإبداع وبروح الكلمة، ذلك أنّ"النص منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها"، وفي اعتبار قصائد الديوان نصوصا تعلق بالتعالي، ذلك أن مصطلح النص- كما يقول بيترتنيتو- يطلق في العموم على "أية مقطوعة معينة من العلامات اللغوية، حتى كانت غير مرتبطة، شريطة أن يكون بميسورنا أن نعثر على سياق ملائم لها، وبذلك فاختيار عبارة نصوص إبداعية تحتم على القارئ التسلح بأدوات منهجية تكون كفيلة باستكناه غور هذه النصوص على مستوى اللغة والترميز والرؤية.

- **الإهـداء:**

ترى لماذا آثر الشاعر أن يهدي كتاب الأحوال إلى الحلاج ،وقد اعتبره رائيا كبيرا وشهيدا للحرية والعقلانية والحداثة؟

إن إطلاق صفة الشهيد على الحلاج نقض لأحكام تاريخية كان الحلاج ضحيتها فهل يمثل ذلك إعادة للتاريخ الإسلامي ، أم هو إعلاء لقيم الرفض التي ولدت حينها بدعوى الاجتهاد.

والحرية حينا والتعصب المذهبي والعقدي حينا آخر لا يمكن بأي من ذلك الحلاج ذاته عاش لغزا ومات لغزا ، غير أن الشاعر وضع ثلاثة معالم لتؤكد منطلق الشهادة الذي بني عليه حكمه، معلم الحرية، ومعلم العقلانية، ومعلم الحداثة، "إن عبد الحميد شكيل حلاجي الشعرية،حيث تندرج الكمالات في ارتقائها نحو مستوى معين من التوافق مع صوت صادر من أصقاع العالم النائية، يتلبس الذات في شغف موسيقي مؤلم، فيتعدد الفهم لإنتاج رؤيا لهذه الموسيقى المؤلمة، وحده الشاعر قادر على الرحيل في دواخله ليقول لحظته المكثّفة في حيرة ممسرحة في أذهان الجماهير التواقة إلى سماع الخرير الداخلي للعالم"[5].

فأين تتموقع فلسفة الحرية من المنظور الحلاجي؟ وما هي الزاوية التي يريد الشاعر تشكيلها وترسيخها من خلال كتاب الأحوال؟ وما هي ملامح العقلانية لدى الحلاج وما ارتباطها بكتاب الأحوال ؟ وما هي معالم الحداثة عند الحلاج؟ وما هي السياقات التي

ربطتها بكتاب الأحوال؟. ذلك ما يمكن التعرف عليه من خلال العناوين التي اعتمدها لقصائده.

- **المطالع:**

أول ما يثير الانتباه هو العدد سبعة الذي اعتمده الشاعر في رصد هذه المطالع، وهي مطالع تتمظهر في شكل القصيدة العمودي بخلاف قصائد الديوان التي تأخذ طابع قصيدة الشعر الحر، إنه لم يراع الترتيب الزمني لهذه المطالع فمنها ما يضرب في أغوار التاريخ الأدبي القديم، ومنها ما يعود إلى الأدب المعاصر، "الواقع هو أن الشعر الحديث يتأثر بالثقافة العربة من ناحية وبالثقافة العالمية من ناحية أخرى، فألوانه هي من خلال هذا التفاعل، وهي بناء على ذلك ألوان طبيعية لا تضع فيها مطلقا، بل لها جمالها وانطباقها على الحياة العصرية التي يعيشها أولئك الشعراء"[6].

موضوع هذه المطالع السبعة هو الحب وصراع النفس مع الهوى الذي هو حال من أحوال النفس الإنسانية، فأبو صخر الهذلي حرقة الوجد عنده جعلته يحسد الوحش على أن لا يزجرها عن ألفتها زاجر بخلاف حالته بين بني وقومه، نراه يطلب زيادة الحب ليزداد التعلق الذي لا يسليه إلا موعد الحشر.

أما نزار قباني فامتلاكه لمن يهوى هو امتلاك للعالم السفلي والعلوي، ومن مات مغامرة الهوى فقد وهب لنفسه حقيقة الحياة.

والشريف الرضي يستنطق الأطلال في التفاتاته لها، وعند اختفائها عن الأنظار يلتفت القلب فترتسم له الخيالات ظلها ويتعاود الوصال.

أمّا ابن زيدون فقد قسم الهوى: ثلثان بينه وبين من يهوى ولكل الناس الثلث الباقي.

ومالك بن النطاح يجعل من الهوى حلوا ومرا فالخلو للقلب والمر يعجز عن وصف قلبه

أمّا ليلى التي ذكر اسمها وأخفى لقبها هل لأنها الأخيلية أم غيرها أم أن سلطة الذكورة مازالت تفعل فعلها وأم أن الإخفاء سترا وتمنعا صفة النساء؛ وقديما قيل تمنعن وهن الراغبات ...

لقد آثرت ليلى في عالم الهوى أن تستبدل محبوبها بنفسها فطلبت أن تقتل مكانه حين يكتشف أمرها لأن القلب سيعيش ويقتل مرات عديدة، وبالتالي آثرت القتلة الواحدة.

ويختم المطالع بأحمد شوقي الذي آثر أن لا يجيب في سؤال الهوى لأن ما يذاق لا يوصف، إذن"بتزامن "الآخر" مع "الأنا" نجده يتزامن مع وجود الأنا الناطقة المبدعة، فتكاد لا تتلفّظ إلا "الآخر" حاضرا إما في شكل إهداء أو في شكل مقدمة، وهذا الآخر في الغالب ينتمي إلى عالم الكتابة والإبداع، بغض النظر عن الاتفاق والاختلاف في المواقف والمباد كأنه نوع من التضامن بين "الأنا" و"الآخر" لسبب هو أنّ الهدف واحد"[7].

وتلك هي المطالع السبعة التي تأخذ كل واحدة منها بطرف أو بخيط على علاقة بموضوع الحب والهوى لتبقى فلسفة الحب أعمق مما يجيش في نفس شاعر أو يرتسم على صفحات كاتب.

3- شعرية العنونة في قصائد أو نصوص الديوان:

- **عنوان القصيدة الأولى: مدارات القبّرة.**

القُبّرة حيوان صغير من فصيلة الطيور يصطادها الصبيان بسهولة، فهي عرضة لفخاخهم المنصوبة، ميزته الحركة بحثا عن الحب و صفته الغباء لوقوعه في الأحابيل.

والمدارات جمع مفرده مدار يتشكل عن طريق الحركة، وعليه فهذه القبّرة تتحرك لترسم مجموعة مدارات يريد الشاعر تتبع أحوالها. لكن المعنى بهذه ساذجا ولا يصل إلى نتيجة.

ولذلك نبحث عن المعنى الذي تنزاح إليه لفظة قبّرة، إن القبّرة هنا هي نفس الشاعر وذاته عندما تتحرك في مدارات الحياة ودروبها الوعرة ومسالكها المتعرجة وتقع في أحابيلها وتنجو أو تصيبها فخاخها، وحينها تصبح لفظة القبّرة معادلا موضوعيا للنفس أو أيقونة دالة على ذات الشاعر مما يغري المشاهد بإتباع حركة المدارات ويغوي السامع بتتبع مسار الحكي ...حكاية تجربة النفس ورصد أحوالها، وبذلك يصبح هذا العنوان "مدارات القبّرة" على صلة وثيقة بكاتب الأحوال.

- **عنوان القصيدة الثانية: الجسد.**

يمثّل الجسد الجانب المادي من الإنسان، فيه مضغة الطين وجمال الصورة وعناصر الحركة، وهو محلّ تسكن فيه الروح وتتحول مادية الإنسان وصلصاله إلى كائن تنبعث منه حيوية الحياة.

في الجسد تتجلى عظمة الخلق (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)[سورة التين الآية -3-].

الجسد خلق من تراب وسيعود إليه وبين الترابين حيوات يعيها الإنسان ، في كل حيات تعانق النفس أحوالا متغيرة (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) [سورة الشمس الآية -7-].

الجسد مرتبط بالنفس الإنسانية والتي لولاها لما كان له شأن ولما كان محل نظر وتأمل.

إنّ حالات النفس وتغيرها هو ما يربط العلاقة بين الجسد وما يعايشه من أحوال، خصوصا وأن اعتلال النفس يجعل الجسد يذوي، وأن انكسارات الإنسان على عتبات الواقع يرهف النفس فتنهد قوى الجسد، ويتبدى ذلك على الوه في صورة كآبة أو شحوب، "الإشارة إلى روح الجسد الواقعي تنبيه فني إلى روح الجسد الرمزي التي تحيل إلى الشفاف، والجملة الشعرية تبني المعنى على تبادلية فنية"[(8)].

الجسد بهذا الشكل أصبح موطن نظر سردي من خلال العلامات التي يحملها والتي توحي بتعرجات النفس وانكساراتها أو بفرحتها وانتصاراتها، وكل ذلك سمات الوجه:

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه
ولنفس على النفس أمارات وأشبـاه

كثيرا ما دلّت الوجوه على مكنونات النفس (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)سورة الفتح الآية -29-]. وكثيرا ما دلت حركة عناصر الوجه على المكنونات الضمير ولولا العيون لما فضحت مغاليق القلوب ، ورجفة الفؤاد دائما تلقى بتيارها السحري على الأعضاء فتغير الملامح ، وقليلون هم ذوو الوجوه الحديدية التي لا تتأثر بفرح أترح؛ إنها وجوه تخلو من علامات التعبير، وهي في الحقيقة تعبر عن أجساد يقال لأصحابها رجال بلا ملامح ، هي وجوه تتحاشاها اللغة مثلما تحاشاها التعبير بملامح الوجه.

إنّ الجسد ولوحته الوجه يمكن أن يقال عنه نص سردي حروفه أمارات الوجه وسحنته، وكلماته نظرة الطرف والتفاتته، وسطوره بسمة الثغر وحركة الحاجب، ونصه الأعلى أثر سجود على الجبهة أو إطراقه حياء على وجه يسلم لله تصاريف ويكتب على الوجه نص الرضا كلما رفرفت طيور الروح.

إنّ عنوان القصيدة الثانية "الجسد" على صلة وثيقة بكتاب الأحوال ، ذلك أن الجسد كتاب ثان لتدوين الأحوال، وملمح تتسرب منه حركة النفس في رصد الحالة النفسية، فبملامح الوجه تكتب تعابير الجسد، فالجسد "لم يعد مجرّد تابوت يحتوي ميتا، بل طبيعة متحرّكة تعلن عن موقف معين من هنا عدّ قطبا رئيسيا للاهتمامات المعاصرة"[9].

- **عنوان القصيدة الثالثة: الحروف.**

"الحروف امة من الأمم مخاطبون ومكلفون"، تلك هي العبارة التي أردف بها الشاعر عنوان قصيدته الثالثة، والعبارة لابن عربي صاحب مذهب في التصرف الإسلامي.

الحروف مفاتيح الكلام ، وهي مفردات اللذة اللغوية ولبنات بنائها، وحق لابن عربي أن يعتبر الحروف أمة من الأمم باعتبارها مرتبطة بالعقل مناط التكليف وهل رأيت أمة مكلفة غير الإنسان الذي يرعى في مملكة الحروف،فالتكليف في الواقع مرتبط بمن يتعامل بالحروف وليس بالحرف ذاته ولكنه شأن التصوف دائما الإيغال في التجريد.

الحروف أمة من الأمم لأنها تشكل مجردات في الوجوه المعرفي لدى الإنسان، يطبعها التفرد، ويطع تألفها التعدد، ولا ينتج الكلام إلا من تزاوج الحروف، حتى أنه يمكن أن يقال أن لكل كلمة بصمة وراثية تعيش من خلالها في عالم الفكر وتعبر عنه، وتتماهى في عالم الوجدان وتنقل أحاسيسه وتقلباته.

في الحروف العربية نوع من الإعجاز، تجلى في افتتاح كثير من السور القرآنية بحرف مفردة أو موصولة كنوع من التحدّي للعربي في أول مكونات لغته، ولذلك

كانت الحروف مناط إعجاز زمن النبوة وفي كل زمان، "ويبدو جليّا من دراسة ظاهرة التناوب بينالحروف في صورها المختلفة، كيف أنّ إحلال حرف محلّ حرف آخر يؤدّي إلى جلب معنيين في السياق،المعنى المفهوممن وجود الحرف المذكور، والمعنى المتخيّل بافتراض الحرف المنتظر"[10].

ارتبطت أسرار الحروف بظاهرة السحر واستراق السمع والتهويم في عالم الجن والخيال، وكتب الشعوذة مليئة بالأخبار وجداول الأسرار.

من الحروف تتشكل سلسلة الكلام، وبها يتحقق الفهم والإفهام أو التعمية والإبهام، حسب ما يرد منشئ القول وما يقتضيه الموقف والسياق، وما يقتضيه الحال والمقام، والحروف مطايا المعاني ولولاها لما وجدت معان أن بيان، "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والأعجمي، وإنما الشأن في استقامة اللفظ" كما يقول الجاحظ.

بالحروف تتشكل المعاني في النفس مع الألفاظ التي تنطقها الشفاه، فنحكم على الإنسان من خلال قوله مثلما نحكم عليه من خلال فعله (وما يلفظ من القول إلا لديه رقيب عتيد) [سورة ق الآية 18].

بالحروف يتكون القول البليغ أو المنهج ، فتتباهى اللغة بالمعاني الحسان أو ترتكس إلى نبتذل القول ودينه ، مثلما ارتبطت الحروف بهجين الألفاظ وحوشيها.

الحروف نسغ اللغة الذي يسري في أوصالها معبّرا عن حالة النفس وتغيراتها، وبذلك حملت القصيدة الرابعة عنوان الحروف لتؤكد تغير الأحوال مثلما تتغير الألفاظ والمعاني، حسي تغير الحروف التي تشكلها أو الأنساغ الحروفية التي تسري في أوصالها، فاللغة جسد أعضاؤه الكلمات وشراييه الحروف . وبذلك كانت الكلمات مناط تكليف لدى الإنسان، وكما في الحديث النبوي الشريف (ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوهه أو قال على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم)، وقديما قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

وحتما فالشاعر لا يتكلم لسان الأبكم ، وإنما يتكلم عن لسان الناطق الذي جنوده الحروف.

ويبقى التساؤل مطروحا عن الحروف التي يريد ترتيبها، وعن ماهية اللغة والأفكار التي يريد تدوينها في كتاب الأحوال، ذلك ما يوضح متن القصيدة التي أغلت في اللعب بالحروف في محاولة إيجاد طريقة للكتابة يطبعها كثقافة اللغة و غموض المعنى، هو بمثابة الغموض الذي يلف النفس البشرية، التي يسعى الشاعر إلى تثبيت أحوالها لتقرأ من جديد، وبالتالي يمكن القول أن عنوان الحروف يرتبط مع كتاب الأحوال في صورة عن طريق فتنةوزئبقية الحروف.

- **عنوان القصيدة الرابعة: وردة اليقين.**

يمثل هذا العنوان "وردة اليقين" رمزا يقوم على أيقونة تتصف بالجمال وهي الوردة، لكن هذه الوردة حملة صفة معنوية أخرى ترتبط بجمال الروح وليس بجمال المظهر؛ إنه اليقين، وبالنظر إلى القصيدة نجدها حملت لفظة وردة في الفاتحة النصية لتختم بلفظة يقين في الخاتمة النصية ،وبين الوردة واليقين تهويمات لغوية، لا تحيل على المعاني المباشرة بشيء، وإنما المعاني محالة على فضاء اللغة الرحب وما يحمله من إيحاء وما يحمله من إيحاء وما يفتحه من تأويل، "ولكي تبث اللغة ديمومتها داخل منظومة التبدل عليها أن تمتلك تنوع الأداة التي من بينها الغموض الفنّي، الذي يتيح لها استقلاليتها وتحوّليتها داخل الأسس البنيوية لثقافتها، وهو ما لا يعيبها بقدر ما يكون رافدا من روافد انتمائها"[11].فوردة اليقين رمز هو للقصيدة أقرب وباللغة ألصق، فالقصيدة "دوحة الفتح"، واللغة "نبرة البوح" على حد تعبير الشاعر، والقصيدة "الوردة المثلى" ولغتها "مياه اليقين".

- **عنوان القصيدة الخامسة: دوائر الكلام.**

الدوائر جمع مفرده دائرة، معرف بالإضافة ليفيد التعيين والتحديد، وبذلك فهو يفيد التعدد واتساع، وقد يكون للدوائر نفس المركز ، فيزداد الاتساع كلما ابتعدنا عن المركز، وقد تتعدد المراكز فيحدث التداخل، والدائرة عند الرياضيين خط منحني مغلق يتسم بالفراغ في الهندسة المستوية، يعبر به عادة عن الأحياز المغلقة، وفي العلوم الفيزيائية يعبر به عن المسارات التي تتخذها الأجسام أثناء حركتها في عالم الفضاء والواقع، وبذلك تأخذ معنى مجسما بخلاف المعنى المجرد الذي اتخذه عند الرياضيين، دوائر الحروف ودوائر البلاغة ودوائر المعنى ...

أما الكلام فهو ملفوظات نطقية يعبر بها اللسان عما يجيش في النفس، ويقذف به إلى عالم الوجود، وبذلك فالكلام يمثل معنى كائنا في النفس ومرتبط بحالة ما، "تحتاج نصوص شكيل إلى تأملات ووقفات، قد نجد المعنى اليوم لنمحوه غدا، قدندخل معه أروقة الأساليب المراوغة والدلالات الهاربة اليوم، لندفعه إلى أن يكشف لنا، أن ينزل لنا، أن يفتح لنا، لكنه يرفض دوما، وهو شأن الإبداع والخلق لا حدود لهما، فهما التاريخ فقط بكلّ قداساته وجلالاته"[12]، بذلك فدوائر الكلام تزداد اتساعا وضيقا حسب الحالة التي يعبر عنها ذلك الكلام، والانتقال من دائرة إلى دائرة أخرى هو انتقال من التعبير عن حالة إلى التعبير عن حالة أخرى،وإنّ دوائر الكلام أشبه ما تكون بدوائر النفس وما يعتريها من تقلبات وما يصاحب ذلك من حالات.

لقد ذيل الشاعر عنوان قصيدته بعبارة لـ "رينيه شار" وهي قوله: "الثمرة عمياء، إنها الشجرة التي تبصر"، ومثلما كان الكلام ثمرة ما تجيش به النفس، كانت الثمار نتيجة ما تلقى به الأشجار.

وكما لا يمكن تفسير عمى الثمار أو إدراك تبصير الأشجار، لا نعرف كنه الكلام أو حقيقة النفس، غير أن الشجرة مدرك عيني والشجرة كذلك، إلا أن النفس

جوهر مجرد، والكلام طارئ حادث، وعليه فارتباط الثمار بالأشجار يقابل ارتباط الكلام بالنفس.

إنّ فضاءات القصيدة التي حملتها اللازمة التكرارية "تنقصني أنثى" هي بمثابة دوائر متعددة لحالات عايشها وأراد أن يدونها في كتاب الأحوال.

- **عنوان القصيدة السادسة: تأنيث المكان.**

المكان فضاء مادي، يحقق فيه الإنسان وجوده ويمارس تجربته الحياتية، وقد يحمل المكان صفة التذكير، مثلما يحمل صفة التأنيث، لكن الشاعر في هذه التجربة يختار عن وعي صفة التأنيث للمكان، ويردف عنوان القصيدة لعبارة لابن عربي حتى يدلل على ما ذهب إليه ليس بدعا من القول، وهي قول ابن عربي: "المكان الذي لا يؤنث لا يعول عليه"، فمكة والمدينة والجنة، أسماء تحمل التاء، باعتبار ابن عربي رمزا من رموز التصوف الإسلامي وفق رؤية خاصة ومنظور مميز أسال الكثير من الدماء. غير هذه الكلمات وما در في حقلها المعجمي لم نر له أثرا في القصيدة مما يجعلنا نتساءل عن طبيعة التصوف الذي يريد الشاعر التعلق بأهدابه.

في تأنيث المكان انتصار لتاء التأنيث، انتصار للقصيدة، انتصار للغة، إن الذي يربط هذا العنوان بفضاء اللغة وهاجس القصيدة، هي أحوال تملكت الشاعر فأراد التعبير عنها في رؤى منها السياسي ومنها الثقافي ومنها النفسي.

لكن ما الذي يربط كل ذلك بباب الهوى الذي سلط عليه الضوء في المطالع السبعة؛ حتى أنه خيل إلينا في البدء أننا أمام طوق حمامة جديد ، وبذلك سيغرق الشاعر في القصائد التي دونها في بحور الحب ومحيطات الهوى، لكن الشاعر أبحر بنا بعيدا عن تلك البحور، وحلق في الفضاءات التي أرادها، وأحد العوامل التي عايش حالاتها، غير أن الدائرة الأرحب التي تشكلت فيها رؤى الشاعر هي الصراع بينه و بن ما يحيط به من عوامل، ليدون كل ذلك في كتاب الأحوال.

ومنه يمكن القول أن كتاب الأحوال يمثل هاجس اللغة وتشكل القصيدة، وهي تنقل أحاسيس النفس عند معايشتها لواقع الحياة، فتكون الحروف جنودا ودوائر الكلام ووردة اليقين تاجا يكلل أعالي اللغة وأفراح الروح.

الـهـوامـش:

1) عبد الحميد شكيل : ديوان كتاب الأحوال-وزارة الثقافة، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
2) مال بوطيب: الجسد السردي، طريق وجدة، تازة، المغرب، 2006، ص15.
3) أحمد بزون: قصيدة النثر العربية - الإطار النظري-، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1992، ص 185.
4) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية -، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م، ص: 238.
5) عبد الحفيظ بن جلولي: ضرائب الترتيب طروحات الشعرية المؤنقة - رؤى في شعرية عبد الحميد شكيل -، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ص: 35.

6) حورية الخمليشي: الشعر المنثور والتحديث الشعري، الدار العربية ناشرون، دار الآغا، منشورات الاختلاف، ط 1، 1423/ 2010، ص: 137.
7) عبد الرحمن تيرماسين: الأنا وتمظهر الآخر في نثريات تحولات فاجعة الماء لحمد الحميد شكيل، مجلة الثقافة، عدد 25، 2011، ص 112.
8) عبد الحفيظ بن جلولي: ضرائب الترتيب طروحات الشعرية المؤنقة - رؤى في شعرية عبد الحميد شكيل ، ص 76.
9) السعيد بوسقطة: لغة الجسد في رواية رمل الماية لواسيني الأعرج، السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، ماي 1995. ص112
10) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص: 132.
11) عبد الحفيظ بن جلولي، ضرائب الترتيب طروحات الشعرية المؤنقة - رؤى في شعرية عبد الحميد شكيل ص: 134.
12) وليد بوعديلة: مجلة الثقافة، عدد 25 فيفري 2011. ص 88